الذي في القلب الذي هو اسلام القلب بمحبة وخشوعه فاذا عدم مقتضى العلم فانه قد يزول العلم كما من القلب بالكلية ويطبع على القلب حتى يصير منكرا لما عرفه جاهلا بما كان يعلمه وهذا العلم وهذا العمل كلاهما يكون من معاني الالفاظ فلفظ الشهادة والاقرار والايمان والتصديق ينتظم كله لكن لفظ الخبر والنبأ ونحو ذلك هو العلم وان استلزم هذه الاعمال فهو كما سيلزم العلم بالذكر فاذا قال احد هؤلاء العالمين الجاحدين الذين ليسوا مؤمنين محمد رسول الله كفر لذلك اليهود ونحوهم فهذا خبر محض مطابق لعلمهم الذي قال الله فيه الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون لكن كما لا ينفعهم مجرد العلم لا ينفعهم مجرد الخبر بل لا بد ان يقترن بالعلم في الباطن مقتضاه من العمل الذي هو المحبة والتعظيم والانقياد ونحو ذلك كما انه لا بد ان يقترن بالخبر الظاهر مقتضاه من الاستسلام والانقياد وهو الطاعة فهؤلاء الذين يعلمون الحق الذي بعث الله به رسوله ولا يؤمنون به ويقرون به يوصفون بانهم كفار وبانهم جاحدون ويوصفون بانهم مكذبون بالسنتهم وانهم يقولون بالسنتهم خلاف ما في قلوبهم وقد اخبر الله في كتابه انهم ليسوا بمكذبين بما عملوا اي مكذبين بقلوبهم وان لم يكونوا مؤمنين مقرين مصدقين اذ العبد يخلو في الشيء الواحد عن التصديق والتكذيب والاقرار من التكذيب فكل من كذب الرسول كافر وليس كل كافر مكذبا بل من يعلم صدقه ويقر به ويصوم ذلك يبغضه او يعاديه كافر ومن اعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه كافر وليس بمكذب وكذلك العالم بالشيء قد يخلو عن التكذيب وعن التصديق به الذي هو مستلزم لعمل القلب وان لا يخلوا عن التصديق الذي هو محي وعمل القلب فاما ان يقولوا القلب مصدق قولي غير العلم فهذا هو الذي ادعاه هؤلاء الشذاذ عن الجماعة وهو مورد النزاع ولهذا قال الجنيد بن محمد الزجاج قول القلب والتوكل عمل القلب وقال الحسن البصري ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقه العمل وقال الحسن ايضا ما زال اهل العلم يعهدون بالتذكر على التذكر وبالتفكر على التذكر وينابطقون القلوب حتى نطقت فاذا لها اسماع وابصار فنطقت بالحكمة واورثت العلم

الوجه الثالث والعشرون ان يقال لا ريب ان النفس الذي هو القلب يوصف بالنطق والعقل كما يوصف بذلك اللسان وان كان العقل والنطق عند الاطلاق يتناول مجموع الامرين ولهذا كان من جعل النطق والعقل هو الذي في اللسان فقط بمنزلة من جعله لما في القلب فقط ومن جعل اللفظ مشتركا بينهما فقد جمع البعدين بل اثبت النقيضين فانه يجعل اللفظ الشامل لهما ما نافيا من كل منهما فانه اذا قال اسيد به هذا او حمار او هذا او حمار مع ان اللفظ اريد به كلاهما كان نافيا لكل منهما في حال اثبات اللفظ له وانما اللفظ المطلق من القول والنطق والكلام ونحو ذلك يتناولهما جميعا كما ان لفظ الانسان يتناول الروح والبدن جميعا وان كان احدهما قد يسمى بالاسم مفردا ومن لم يسلك هذا المسلك والانهالت عليه الحجج لما انتاه من الحق فان دلالة الادلة الشرعية واللغوية والعرفية على تسمية الاسم لهما وعلى تسمية احدهما به اكثر من ان تحصر لكن هذا النطق والكلام الذي هو معنى الخبر القائم بالنفس هل هو شيء مخالف للعلم ممكن ان يكون ضده او هو هو او هو مستلزم له فدعوى امكان مضادته للعلم مما يحس الانسان بنفسه خلافه ودعوى مغايرته للعلم ايضا فان الانسان لا يحس من نفسه بنسبتين جازمتين كل منهما تناول المفردين احدهما علم والاخرى غير العلم ولهذا لم يتنازع في ذلك لا المسلمون ولا من قبلهم من الامم حتى اهل المنطق الذين يثبتون نطق النفس وسموها النفس الناطقة هم عند التحقيق يريدون ذلك الى العلم والتمييز ولهذا لما اراد حاذق الاشعرية المتاخرين ابو الحسن الآمدي ان يجد العلم بعيدا ان تعقب حدود الناس بالابطال وردوا من زعم انه غني عن الحد او انه يعرف بالتقسيم والتمثيل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)